

## الفتنة والابتلاء

عبيد بن عبدالعزيز السلمي\*

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليلو الناس أيهم أحسن عملاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله إلى الناس كافة، خير من ابتلي وخير من صبر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .  
أما بعد:

فإن من أراد تحقيق أمور الدين جميعها، من التوحيد والإيمان والإسلام والإحسان، لا بد له من الابتلاء والفتنة، كما قال تعالى:  
﴿الْمَلَأْنَا حَسْبَ النَّاسِ أَنْ يَمُرُّوْا أَنْ يَقُولُوْا أَمْنَا وَأَمْنَا لَا يُفْتَنُوْنَ﴾ (١).  
وجماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذة من قولك: فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد (٢).  
والفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، وقد قال الله تعالى فيهما: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا

\* الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(١) سورة العنكبوت، الآيات ٢٠، ٢١ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ٣١٧/١٣ ، وانظر القاموس المحيط ٢٥٤/٤ .

## تَرْجَعُونَ ﴿١﴾ .

وللفتنة وجوه منها: الشرك والضلالة والنفاق والبلاء وعذاب الناس والحرق بالنار والصد والاستنزال والمعدرة والافتتان والإعجاب والقتل، وقد ورد في القرآن دليل لكل وجه (٢).

قال ابن القيم: ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يراد بها: الامتحان الذي لم يفتن صاحبه، بل خلص من الافتتان. ويراد بها: الامتحان الذي حصل معه افتتان. فمن الأول قوله تعالى لموسى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَنَّكَ فَتَوَنَّاهُ فَلَيْثُم سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوِسَّىٰ﴾ (٣). ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقُلِّلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَكْفُلُ أَذْنَنِي وَلَا نَفْتِي ۖ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٥). ويطلق على ما يتناول الأمرين كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٦) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٦).

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٥ .

(٢) المفردات للراغب الأصبهاني: ٣٧١ .

(٣) سورة طه، الآية ٤٠ .

(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٣ .

(٥) سورة التوبة، الآية ٤٩ .

(٦) سورة العنكبوت، الآيات ١-٣ .

ويطلق على أعم من ذلك كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)، قال مقاتل (٢): أي بلاء وشغل عن الآخرة (٣).

والفتنة بحسب إضافتها، فيقال: فتنة المال، وفتنة الأولاد. وقد تطلق على أشياء خاصة كالنفاق والكفر والصد، حيث إن أصل الفتنة الاعتبار، ثم استعملت فيما أخرجته الحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك (٤).

لذا فهي بحسب ما يضاف إليها؛ لأن كل شيء فتنة فيقال: فتنة الحياة، وفتنة الموت، وفتنة الشرك، وفتنة الغفلة والابتلاء. والفتنة من أقدار الله عز وجل التي لا بد من الإيمان بها (٥). وأعظم فتنة هي الكفر كما قال تعالى: ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٦)، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس قد ضيعوا وأنت ابن عمر

(١) سورة التغابن، الآية ١٥.

(٢) هو مقاتل بن سليمان البلخي يروي عن مجاهد والضحاك وابن بريدة وعطاء وغيرهم وروى عنه: سعد بن الصلت وبقرة وعبدالرزاق وشبابة وغيرهم — ت سنة نيف وخمسين ومائة هـ، سير أعلام النبلاء: ٧ / ٢٠١، وطبقات ابن سعد: ٧ / ٣٧٣.

(٣) إغاثة اللهفان ١٥٩/٢.

(٤) فتح الباري: ٣/١٣.

(٥) انظر المفردات للراغب: ٣٧١ وانظر فتح الباري: ٣/١٣.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

وصاحب النبي ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي. فقالا: ألم يقل الله: ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله<sup>(١)</sup>.

### المبحث الأول: كونها سنة

قد أشار الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، إلى أن الابتلاء سنة كونية من سننه في هذا الخلق، فقال سبحانه: ﴿الْمَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ فلا بد من الابتلاء بما يؤدي الناس فلا خلاص لأحد منه . والابتلاء يكون بالسراء والضراء لقوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> . فلا بد للمؤمن من الصبر والشكر ولا بد من حصول الألم لكل نفس سواء آمنت أم كفرت لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة<sup>(٤)</sup> . أما الكافر فقد تنقطع عنه الفتنة في الدنيا ولكنه يصير إلى الألم في الآخرة، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمن

(١) صحيح البخاري: ١٥٧/٥ (التفسير) البقرة باب ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ واللفظ له وفي المسند بنحوه ٧٠/٢ - ٩٤ .

(٢) سورة العنكبوت، الآيات ١-٣ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٥ .

(٤) الفوائد لابن القيم: ٢٠٤ - ٢٠١ . وانظر إغاثة اللهفان: ١٩٣/٢ .

كمثل خامسة الزرع يفىء ورقه من حيث أتها الريح تكفئها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة (١) صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء» (٢). والله سبحانه حذر من الدنيا وفتنتها؛ ليحذرها المؤمن العارف بربه، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣). فالجميع مبتلى فيها، فمن لم يؤمن فإنه يمتحن في الآخرة بالعذاب ويفتن به، وهي أعظم المحنتين، هذا إن سلم من امتحانه بعذاب الدنيا ومصائبها، أو عقوباتها التي أوقعها الله بمن لم يتبع رسله وعصاهم، فلا بد من المحنة في هذه الدار، وفي البرزخ لكل أحد، لكن المؤمن أخف محنة وأسهل بلية، فإن الله يدفع عنه بالإيمان (٤)، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٥). ولكن البلاء يشتد عليه بحسب إيمانه؛ ليعلم صدقه من كذبه، فإن صبر وأجاب داعي الله فإن له عند الله الفوز والنعيم. وقد سئل الشافعي رحمه الله: أيما أفضل للرجل أن يُمكن أو يبتلى فقال: لا يمكن حتى يبتلى فإن الله ابتلى

(١) الأرز: ضرب من البر وقيل شجر الصنوبر. اللسان: مادة أرز: ٣٠٦/٥.

(٢) البخاري: ١٩١/٨: كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة واللفظ له صحيح مسلم: ٢١٦٣/٤: كتاب صفات المنافقين باب مثل المؤمن باب (١٤) كما أخرجه الإمام أحمد والدارمي.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

(٤) إغاثة اللفهان: ١٩٢/٢.

(٥) سورة الحج، الآية ٣٨.

نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة (١). وقد أجل الله عز وجل الابتلاء، وأنه لا بد منه بقوله سبحانه: ﴿الْعَمَلُ أَحْسَبُ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣). ثم فصل سبحانه بعض الذين ابتلوا من قبلنا، وقد ابتلي نبينا ﷺ والمؤمنون من الصحابة ومن كان قبلهم والكفار مما يدل على استمرار الفتنة والابتلاء.

فمن سنية الابتلاء أن الله ابتلى أفضل خلقه وهم رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم أفضل الدعاة إلى توحيده سبحانه، فابتلاهم بالمرسل إليهم حين يدعونهم إلى الحق والصبر على أذاهم، وتحمل المشاق في تبليغ رسالات ربهم (٤). فهذا محمد ﷺ بين الله عز وجل في هذه السورة أنه ابتلي بقوم جحدوا آيات الله مع علمهم بها، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥) كما اتهم بالسحر والتعلم من الكهنة، حتى أخرج هذا الكتاب، فالله عز وجل نفى عنه هذه التهمة بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَخْضَعُوا لِیَمَنِكَ إِذَا لَازَتْكَ ابْتِغَاءَ الْمُبْتَغَىٰ﴾ (٦). والواقف على

(١) الفوائد: ٢٠٣ .

(٢) سورة العنكبوت، الآيات ١-٣ .

(٣) إغاثة اللفهان ١٦١/٢ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٥٠ .

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٨ .

سيرته ﷺ يرى ما حصل له من فتنة وبلاء أشد من هذا، كالحصار في الشعب، ووفاة عمه أبي طالب، وزوجه خديجة وغير ذلك، ولكنه كان صابراً محتسباً، كما ابتلي نبي الله نوح بكفر قومه واستهزائهم به مع طول لبته فيهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١) فهذا تسلية للنبي ﷺ، أي: ابتلي النبيون قبلك بالكفار فصبروا (٢)، كما ابتلي نوح بابنه وفلذة كبده، حيث كان ممن أعرض عن دعوته، كما هو مذكور في سورة هود. كما ابتلي بزوجه حيث خانتها، كما في سورة التحريم، وكذلك ابتلي نبي الله إبراهيم عليه السلام بقومه الذين لم يقبلوا دعوته، وحاولوا الانتقام منه ولكن الله أنجاه فقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣). ومما ابتلي به كذلك إعراض أبيه عن الاستجابة لدعوة التوحيد.

ونبي الله لوط ابتلي بقوم لا يعباون بأمر الله مستهزؤن به وبدعوته، حيث أتوا أمراً عظيماً لم يسبقهم إليه أحد، قال تعالى عنهم: ﴿إِنِّي لَأَتُوبُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَالرَّجَالُ لَا يَفْقَهُونَ السَّبِيلَ وَكَانُوا فِي نَادِيكُمُ الْمَكْرُطِ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ مِنْ

(١) سورة العنكبوت، الآية ١٤ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٣٢/١٣، وانظر زاد السير لابن الجوزي ٦/٢٦١ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٢٤ .

الْصَّادِقِينَ ﴿١﴾، ومما نزل عليه من البلاء أنه كان يخاف على ضيوفه من أذى قومه وشرهم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيتَ بِهِمْ وَضَافَكَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٢)، فمن عظيم ما مر عليه من البلاء أن زوجته وأقرب الناس إليه لم تستجب لنداء الله.

كما ابتلى الله شعباً حيث لم يستجب له قومه قال تعالى: ﴿وَالِإِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾ (٣).

كما ابتلى نبي الله موسى بأنواع البلايا، منها: تجرؤ فرعون وقارون وهامان وتسلطهم على عباد الله، حتى وصل الحد بفرعون إلى أن ادعى الربوبية، قال تعالى: ﴿وَقَرْنُوا وَفِرْعَوْنُ وَهَلْمُنُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (٤).

وكما حصل للرسل من بلاء ومحنة امتحن الله المرسل إليهم بهم، هل يطيعونهم وينصرونهم ويصدقونهم؟ أم يكفرون بهم ويردون عليهم ويقاثلونهم؟ فأقوام الرسل الذين لم يستجيبوا لدعوتهم أصيبوا بأعظم

(١) سورة العنكبوت، الآية ٢٩ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٣٣ .

(٣) سورة العنكبوت، الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٣٩ .



بلية وأعظم فتنة وهي الكفر الذي تدوم محتته، وقد قال سبحانه:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمه الله: (أي لا يحسن الذين لم يدخلوا في

الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن وراءهم من

العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأعظم) (٢) . وكما ابتلي الأنبياء

وأقوامهم الذين لم يستجيبوا لهم كذلك ابتلي أتباع الأنبياء، فقد ورد

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ

وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو

لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض

فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط

بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه، والله

ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف

إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» (٣) . كما أن صحابة

رسول الله ﷺ لاقوا من الابتلاء والحن ما الله به عليهم، حتى أن أول

سورة العنكبوت نزل بهم، وهو قوله تعالى: ﴿الْمَ أَحْسِبَ النَّاسُ

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦٤٥/٣ .

(٣) صحيح البخاري: ٥٦/٨ كتاب الإكراه - باب من اختار الضرب والقتل والهون على

الكفر، واللفظ له سنن أبي داود: ١٠٨/٣: كتاب الجهاد - باب في الأسير يكره على

الكفر: ١٠٧: مسند أحمد ١٠٩/٥ - ١١١ .

أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾. قال ابن عباس وغيره: يريد بالناس قوماً من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، كسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وأبيه وسمية أمه، وعدة من بني مخزوم وغيرهم (٢). كما فتن بعض الصحابة بأحبابه وذويه، مثل سعد بن أبي وقاص حيث نزل بسببه قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣). فعن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة، فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَلِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

وفيها: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ الحديث (٥). قال الواحدي: قال

(١) سورة العنكبوت، الآيتان ٢، ١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٢٣ / ١٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٨.

(٤) سورة لقمان، الآية ١٥.

(٥) صحيح مسلم: ١٨٧٧/٤: كتاب فضائل الصحابة - باب في فضل سعد واللفظ له، مسند =

المفسرون<sup>(١)</sup>: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وذاك أنه لما أسلم قالت له أمه حمنة: ياسعد بلغني أنك صبوت، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح<sup>(٢)</sup> والريح ولا أكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد، وترجع إلى ما كنت عليه، فأبى سعد، وصبرت هي ثلاثة أيام ولم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظل حتى غشي عليها، فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك إليه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في سورتي لقمان والأحقاف<sup>(٣)</sup>.

وقد ابتلي صحابة رسول الله ﷺ بما حصل لهم من فراق الأهل والوطن والمال، حينما أمروا بالهجرة. قال تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٤)</sup>. ومن سنة الابتلاء والفتنة استمراره في هذه الدنيا، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ففي سورة العنكبوت دلالة واضحة على استمراره إلى يوم المعاد. قال تعالى: ﴿الْعَمَلُ أَحْسَبُ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ<sup>(٦)</sup>. قال ابن عطية<sup>(٦)</sup>،

= أحمد: ١٨١/١، سنن الترمذي: ٣٤١/٥ كتاب التفسير باب ومن سورة العنكبوت.

(١) انظر تفسير الطبري: ١٣١/٢٠ وابن كثير: ٦٤٦/٣ والسيوطي في السدر: ١٤١/٥، تفسير القرطبي، أحكام القرآن: ٢٢٨/١٣.

(٢) الضح: الشمس وقيل ضوءها وقيل ضوءها إذا استمكن من الأرض ( لسان العرب ٥٢٤/٢).

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٣٩٤.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٥٦.

(٥) سورة العنكبوت، الآيات ١-٣.

(٦) هو: عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي =

وهذه الآية نزلت بهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال فهي باقية في أمة محمد ﷺ موجود حكمها بقية الدهر، وذلك أن الفتنة من الله تعالى باقية في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك، وإذا اعتبر أيضاً كل موضع ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن (١). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (٣). ومما يدل على استمرار الابتلاء من الله للناس أمره لهم بأن يتعظوا بما حصل لمن قبلهم كما في قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٤)، وقوله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ لَأَيُّ قَوْمٍ يُوَفِّقُونَ﴾ (٥)، كذلك قوله تعالى في قصة لوط: ﴿وَلَقَدْ تَرَكُنَا

= المالكي، ولد سنة ٤٨٠ هـ: وروى عن أبيه والحافظ الغساني وابن البياز وغيرهم وكان إماماً في الفقه والتفسير والعربية، ذكياً فطناً مدركاً، من أوعية العلم، حدث عنه أولاده، وأبو قاسم ابن حبیب الحافظ وغيرهم، توفي سنة ٥٤١ هـ: سير أعلام النبلاء ١٩/٥٨٧.

(١) أحكام القرآن للقرطبي: ٣٢٤/١٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ١٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣٦٤/١٥، ١٤٨/١٦، الإتيان في علوم القرآن ١/٨٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ١٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٢٤.

مِنْهَا آيَةٌ يَنْتَهِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٢) . ففي هذه الآيات إشارة إلى استمرار البلاء والفتنة، وأن الإنسان لا بد أن يتتلى ويمتحن، فإن كان من العارفين بالله وصبر وثبت على إيمانه فإنه سيحصل له من الفوز والفلاح ما حصل للمؤمنين قبله، الذين قص الله علينا قصصهم، وإن أعرض ولم يتعظ ولم يعتبر كما أمر فنهايته للهلاك والفتنة العظيمة التي لا فتنة بعدها، وهي عذاب الله كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٤﴾ .

وقد نبه ﷺ على فتن عامة تكون في آخر الزمان في أحاديث كثيرة؛ لذلك بوب غالب العلماء في كتبهم باباً خاصاً بها سموه (أبواب الفتن) وذلك كالبخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وغيرهم، ساقوا فيها ما أخبر به الرسول ﷺ مما يقع من الفتن. والإنسان يشاهد الفتن دائماً لاتنقطع عنه، ولكنها تختلف حسب شدتها وضعفها فمثلاً الأمراض والمجاعات والجوائح وفقد الأحبة حتى الشوكة يشاكها المسلم، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مامن مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» (٤).

(١) سورة العنكبوت، الآية ٣٥ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٣ .

(٣) سورة الذاريات، الآيتان ١٣، ١٤ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه: ٣/٧ المروني: باب أشد الناس بلاء الأنبياء واللفظ له. صحيح مسلم: ١٩٩١/٤ - البر باب ثواب المؤمن .

كل ما اتصل بالإنسان من أهله وولده ووالديه وأصحابه وعشيرته وقومه ومن يتعامل معهم كل هؤلاء، فهل يقوم بواجبه نحوهم من جلب خير أو دفع شر؟ وهل يكف يده عن حقهم وبصره عما متعوا به ويسأل الله من فضله،<sup>(١)</sup> ويكف لسانه عن غيبتهم وبهتهم؟ فقد ورد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال: «صدق الله ﷻ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ»<sup>(٢)</sup> رأيت هذين فلم أصبر» ثم أخذ في الخطبة<sup>(٣)</sup>. وقد ورد عن حذيفة قال: (كنا جلوسا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا كما قاله قال: إنك عليه أو عليها لجريء، قلت فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمروالنهي، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر، قال: إذاً لا يغلق أبداً، قلنا:

(١) انظر: إغاثة اللهفان: ١٦٠/٢ .

(٢) سورة التغابن، الآية ١٥ .

(٣) سنن أبي داود: ٦٦٣/١ كتاب الصلاة باب الإمام يقطع الخطبة لأمر يحدث واللفظ له، سنن النسائي: ١٠٨/٣ كتاب الجمعة باب نزول الإمام عن المنبر ١٩٣/٣ كتاب العيدين باب نزول الإمام، مسند أحمد: ٣٥٤/٥، مستدرک الحاکم: ١٨٩/٤ - ١٩٠ كتاب اللباس وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروق فسأله فقال: (الباب عمر)<sup>(١)</sup>. ففي هذا الحديث عمر لم ينكر على حذيفة وقوع الفتن الصغيرة، وحذيفة أجابه إلى سؤاله بالنسبة للفتن الكبيرة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>. فأياكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن)<sup>(٣)</sup>.

والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>. وهذا عام في جميع الخلق،

(١) صحيح البخاري: ١٣٣/١ كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة واللفظ له في: ١١٩/٢ كتاب الزكاة باب الصدقة تكفر الخطيئة ٢٢٦/٢ الصوم باب الصوم كفارة وينحوه في صحيح مسلم: ١٢٨/١ كتاب باب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، وكتاب الفتن: ٢٢١٨/٤ في الفتنة (٧) مسند أحمد: ٣٨٦/٥، ٤٠١، ٤٠٥، ولفظه في سنن الترمذي: ٥٢٤/٤ كتاب الفتن باب ٧١، سنن ابن ماجه: ١٣٠٥/٢ كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن: ١٩٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٨.

(٣) ومن قوله ليس منكم أحد.. إلى آخر الأثر، أخرجه ابن جرير بسنده إلى ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ سورة الأنفال (٢٧). ٢١٨/٩. وذكره ابن كثير في نفس الموضع ٤٧١/٢ إغاثة اللهنان: ١٦٠.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٢٠.

امتحان بعضهم ببعض، كما تقدم امتحان الرسل بأقوامهم وبالعكس، كما امتحن العلماء بالجهال، هل يعلمونهم وينصحونهم ويصبرون على ذلك، وبالعكس هل يطيع الجاهل العلماء ويهتدون بهم؟ وامتحان الملوك بالرعية وبالعكس، كما امتحن الفقراء بالأغنياء وبالعكس، وكما امتحن الأقوياء بالضعفاء، والسادة بالأتباع، والمالك بمملوكه، والرجل بامرأته، والرجال بالنساء، والمؤمنين بالكفار، والآمرون بالمعروف بمن يأمرونهم وعلى العكس من هؤلاء جميعاً فإنهم فتنوا بأضدادهم (١). فمن صبر على الفتنة كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، وإن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها (٢).

### المبحث الثاني

#### الحكمة من الفتنة والابتلاء

وما دام أن الله سبحانه جعل الابتلاء سنة في هذا الكون على جميع الخلق برهم وفاجرهم، فأفعاله كلها حكمة، فلا تكون إلا عن علم وحكمة، منها ما نعرفه ومنها ما تقصر عقولنا وأفعاونا وأفهامنا عنه، وحسبنا أن نقول: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٣). والابتلاء والفتن من أفعال

(١) إغاثة الليفان: ١٦١/٢.

(٢) إغاثة الليفان: ١٦٢/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.



الله عز وجل وتقديراته التي كلها حكمة ورحمة بخلاف ما إذا كانت من العبد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليست البلايا والمصائب تأتي من طاعة الله ورسوله، كما يظن بعض الجاهل، فإن هذه جزاء أصحابها خير الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>. ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم لا بما أطاعوا فيه الله ورسوله، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم لا بسبب طاعتهم الله ورسوله ﷺ وكذلك ما ابتلوا به من السراء والضراء والزلازل، ليس هو بسبب نفس إيمانهم وطاعتهم، لكن امتحنوا به ليتخلصوا مما فيهم من الشر، وفتنوا به كما يفتن الذهب بالنار ليميز خبيثه من طيبه، والنفوس فيها شر، والامتحان يمحس المؤمن من ذلك الشر الذي في نفسه<sup>(٢)</sup>؛ لذلك كان من حكمة الابتلاء التمهيص، وهو كما قال الراغب<sup>(٣)</sup>: أصل المحص تخلص الشيء مما فيه عيب، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً

(١) أي من ابتلي بسبب طاعته لله وصبر فإنه يجزى بخير الدنيا والآخرة وليس المراد أن المصائب بسبب الذنوب فقط .

(٢) انظر الحسنة والسيئة لابن تيمية ص ٤٤ .

(٣) هو: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصهباني كان ذكياً من المتكلمين كانت وفاته قريباً من سنة ٤٥٢ هـ من مؤلفاته (المفردات) والذريعة إلى مكارم الشريعة (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) ومحاضرات الأدباء (سير أعلام النبلاء: ١٨ / ١٢٠) ، الأعلام: ٢ / ٢٥٥ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤١ .

مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾.

فالتمحيص هنا كالتركية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ، ويقال في الدعاء: اللهم محص عنا ذنوبنا، أي: أزل ما علق بنا من الذنوب (٢).

فالمؤمن يمحص حتى يصدق ويتلى ويختبر حتى يخلص بالبلاء الذي نزل به وكيف صبره ويقينه (٣). والله يمحص المؤمنين بما يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب، وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به (٤). فهو تنقية لهم من الذنوب وآفات النفوس، كما أنه تخلص لهم من المنافقين، وتمييزهم عنهم، فيحصل لهم تمحيصان: تمحيص من نفوسهم وتمحيص ممن كان يظهر أنه من المسلمين (٥). وهذا ما سأوضحه في حكمة (التمييز بين المؤمنين والكفار) فالتمحيص للمؤمنين يكون:

#### ١- بتكفير السيئات .

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٤ .

(٢) المفردات للراغب: ٤٦٤ .

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن: ١٠٧/٤ .

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم: ٦١٢/١ .

(٥) زاد المعاد ٢٢٣/٣ .

٢- أو برفعة الدرجات .

٣- أو بالتعويض من الله.

أولاً: تكفير السيئات: قد أخبر الله سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين أي تخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه واستغفاره من الذنوب التي أدلى بها عليهم العدو<sup>(١)</sup>. وقد بين الله سبحانه وتعالى تكفيره لسيئات المؤمنين في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد بين الله سبحانه أن لا بد للمؤمن من الابتلاء كما تقدم .

قال ابن القيم: إن ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو أنقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه<sup>(٣)</sup>. كما قال النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»<sup>(٤)</sup>. فهذا الخير العظيم ليس إلا للمؤمن؛ لأنه هو الذي يشكر

(١) إغاثة اللهفان: ١٩١/٢ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٧ .

(٣) إغاثة اللهفان ٨٨/٢ .

(٤) صحيح مسلم: ٢٢٩٥/٤ كتاب الزهد باب المؤمن أمره كله خير ١٣ واللفظ له، مسند أحمد: ٣٣٢/٤ - ٣٣٣/٦ - ١٥ - ١٦، مجمع الزوائد للهيتمي ٢٠٩/٧، وقال: رواه أحمد =

ويصبر فبذلك تُكَفَّر سيئاته كما بين ذلك رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة منها: ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»<sup>(١)</sup> وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياها»<sup>(٢)</sup> . وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن أبيه عن النبي ﷺ قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس يتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة»<sup>(٣)</sup> .

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن المصائب والفتن التي تصيب المؤمن أنها من الله، حيث لا يقع في الكون كائن بغير مشيئته الحكيمية،

= بأسانيد، ورجاها كلها رجال الصحيح السنن الكبرى للبيهقي: ٣/٣٧٦ .

(١) البخاري: ٢/٧ كتاب المرضى باب ماجاء في كفارة المرضى ، صحيح مسلم: ٤/١٩٩٢ كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه كما أخرجه الترمذي ومالك وأحمد .

(٢) صحيح البخاري: ٢/٧ كتاب المرضى باب ماجاء في كفارة المرضى واللفظ له، صحيح مسلم: ٤/١٩٩٢ كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه .

(٣) مسند أحمد: ١/١٧٢ بهذا اللفظ: ١/١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، سنن الترمذي: ٤/٦٠١ كتاب الزهد باب ٥٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح ، سنن ابن ماجه: ٢/١٣٣٤ كتاب الفتن باب الصبر على البلاء: ٢٣ السنن الكبرى للبيهقي: ٣/٣٧٤ ، المستدرك: ١/٤١ ، المنتخب لعبد بن حميد: ١/١٨٠ سنن الدارمي: ٢/٢٢٨ باب في أشد الناس بلاءً .

ومن ذلك أن الله أعد للمؤمن فيها خيراً عظيماً، سواء بتكفير السيئات أو برفعة الدرجات إن صبر واحتسب، وإلا فيكون فتنة لغيره لذلك أورد بعض العلماء مسائل على هذه الأحاديث وأمثالها:

أولاً: هل التكفير للصغائر أم للصغائر والكبائر؟  
ثانياً: هل المصائب تكفر الخطايا فقط أم أنها تكفر الخطايا وترفع الدرجات؟

ثالثاً: هل تكفير الخطايا أو رفع الدرجات يحصل بمجرد المصيبة أم لا بد من الصبر عليها؟

المسألة الأولى: هل التكفير خاص بالصغائر أم للصغائر والكبائر؟ قال ابن حجر عند إيراد لقول الرسول ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه» (١) وما قبله من الأحاديث السابقة: وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام بدنية كانت أو قلبية تكفر ذنوب من تقع له، وسيأتي في الباب الذي بعده من حديث ابن مسعود: «ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطايا» (٢)، وظاهره تعميم جميع الذنوب لكن الجمهور خصوا

---

(١) صحيح البخاري: ٣/٧ كتاب المرضى باب ماجاء في كتاب المرضى (١)، مسند أحمد: ٢٣٧/٢، الموطأ: ٩٤١/٢ كتاب العين باب ماجاء في أجر المريض .

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري: ٣/٧ كتاب المرضى باب ماشدة المرض واللفظ له، صحيح مسلم ١٩٩١/٤ كتاب البر، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤) مسند أحمد: ٧٠/٤ بمعناه .

ذلك بالصغائر، للحديث... «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهما ما اجتبت الكبائر» (١). فحملوا المطلقات الواردة في التكفير على هذا المقيد، ويحتمل أن يكون معنى الأحاديث التي ظاهرها التعميم أن المذكورات صالحة لتكفير الذنوب فيكفر الله بها ما شاء من الذنوب ويكون كثرة التكفير وقلته باعتبار شدة البلاء وخفته (٢).

والذي يظهر أن المصائب مكفرات للصغائر والكبائر لعموم الأحاديث المتقدمة، وأما هذا الحديث فهو خاص بالأعمال المذكورة ولا وجه لدخول عموم التكفير بالنسبة للمصائب بهذا إلا بدليل؛ لذلك قال بعض العلماء إن المصائب مع تكفيرها السيئات ترفع الدرجات.

### المسألة الثانية: هل المصائب مكفرات أو مثليات؟

قال النووي (٣) رحمه الله تعالى بعد سياقه للأحاديث المتقدمة: (وفي

(١) صحيح مسلم: ٢٠٩/١ كتاب الطهارة باب الصلوات الخمس ... (٥) واللفظ سنن الترمذي: ٤١٨/١ كتاب الصلاة باب ماجاء في فضل الصلوات الخمس (١٦٠) سنن ابن ماجه: ١٩٦/١ كتاب الطهارة باب تحت كل شعرة جنازة، مسند أحمد: ٣٥٩/٢، ٤٠٠، ٤٨٤، ٤١٤.

(٢) فتح الباري: ١٠/١٠٨.

(٣) هو يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحواري الشافعي ولد سنة ٦٣١ هـ رحل إلى دمشق وحج ومر بالمدينة سمع من الرضي بن البرهان وشيخ الشيوخ عبدالعزيز بن محمد الأنصاري، وجمال الدين الصيرفي وغيرهم وتلمذ على يديه جماعة منهم: الخطيب صدر سليمان الجعفري وشهاب الدين أحمد بن جفوان وغيرهم، ومن مؤلفاته: شرح صحيح مسلم =

هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين فإنه كلما ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات وهذا هو الصحيح الذي عليه جماهير العلماء وحكى القاضي عياض (١) عن بعضهم أنها تكفر الخطايا فقط ولا ترفع درجة وتكتب حسنة قال: وروي نحوه عن ابن مسعود، وقال أيضاً: والوجع لا يكتب به أجر لكن تكفر به الخطايا فقط. واعتمد على الأحاديث التي فيها تكفير الخطايا ولم تبلغه الأحاديث التي ذكرها مسلم المصراحة برفع الدرجات وكتب الحسنات (٢).

وقال المنبجي رحمه الله (٣). احتجت طائفة من العلماء إلى أنه يثاب على كل مصيبة بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ

= ورياض الصالحين والأربعين والأذكار وغيرها ، توفي سنة ٦٧٦هـ تذكرة الحفاظ .

(١) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصي الأندلسي ثم البستي المالكي المشهور ولد سنة ٤٧٦هـ ، وروى عن القاضي: هو: أبي سكرة الصيرفي، وعن أبي بحر بن العاص ومحمد بن حميد وغيرهم استبحر من العلوم وجمع وألف كثيراً منها: الشفا ، وترتيب المدارك، وتقريب المسالك للرجال وغيرها، توفي سنة ٥٤٤هـ سير أعلام النبلاء: ٢١٢/٢٠ - وفيات الأعيان: ٤٨٣/٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢٨/١٦ .

(٣) هو: محمد بن محمد بن محمد بن محمود الصالح المنبجي الحنبلي (شمس الدين أبو عبد الله) محدث فقيه له كتب منها: (منهاج السالكين) و(عمدة البصراء والسالكين) و(تسليية أهل المصائب) و (جزء في الطاعون وأحكامه) توفي سنة ٧٨٥هـ . شذرات الذهب: ٢٣٦/٦ معجم المؤلفين: ٢٩٥/١١ ، الأعلام: ٤١/٧ .

بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ  
مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا أَكُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ  
صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ<sup>(١)</sup> ثم ساق حديث أبي سعيد  
المتقدم وقال: وروى الحاكم في المستدرك أن النبي ﷺ قال: «المصاب  
من حرم الثواب»<sup>(٢)</sup>. وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «مامن  
الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة  
بفضل رحمته إياهم»<sup>(٣)</sup> ثم ساق كلام النووي المتقدم وقال: ويؤيد ذلك  
قول عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من  
رسول الله ﷺ)<sup>(٤)</sup>، وقوله ﷺ: «إني لأوعك مثل رجلين منكم»<sup>(٥)</sup>.  
(وإنك لتوعك وعكاً شديداً)<sup>(٦)</sup>. وقوله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء  
ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل»<sup>(٧)</sup>. قال جماعة من العلماء: والحكمة

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

(٢) ذكره المنجي ولم أحده في المستدرك.

(٣) صحيح البخاري: ٧٢/٢ كتاب الجنائز باب فضل من مات له ولد (٦) واللفظ له وبنحوه  
في صحيح مسلم: ٢٠٢٨/٤، كتاب البر باب فضل من يموت له ولد (٤٧) سنن الترمذي:  
٣٦٤/٣، كتاب الجنائز باب ماجاء في ثواب من قدم ولداً.

(٤) مسند أحمد: ١٧٣/٦، سنن الترمذي: ٦٠١/٤. كتاب الزهد باب ماجاء في الصبر (٥٦)  
وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) جزء من حديث في صحيح البخاري: ٣/٧ كتاب المرضى باب أشد الناس بلاء الأنبياء  
(٣) وباب وضع اليد على المريض إني وجع (١٦) ص ٨، صحيح مسلم: ١٩٩١/٤ كتاب  
البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤) كما أخرجه أحمد والدارمي.

(٦) جزء من الحديث الذي قبله.

(٧) جزء من حيث تقدم تخريجه.



في كون الأنبياء أشد بلاء ثم الأمثل فالأمثل، أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب، والأنبياء معصومون من الخطايا، ولهم الثواب والله أعلم.

وفي حديث المرأة التي كانت تصرع (١) . دليل على أن الصرع يثاب عليه أكمل ثواب وفي صحيح مسلم قالت امرأة: يارسول الله دفنت ثلاثة قال: «دفنت ثلاثة؟» قالت: نعم، قال: «لقد احتظرت بحظار شديد من النار» (٢).

قال بعض السلف: فقد الثواب على المصيبة أعظم من المصيبة فإنه قد ورد أن النبي ﷺ قال: «المصاب من حرم الثواب» (٣) . واحتجت الطائفة الأخرى من العلماء ممن أطلق القول بأن المصائب لا يثاب عليها وإنما يثاب على الصبر عليها بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ

(١) وحديثها عن عطاء بن أبي رباح قال: (قال لي ابن عياش ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت بلى، قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر ، فقالت إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها) صحيح البخاري: ٤/٧ كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح (٦) صحيح مسلم: ١٩٩٤/٤ كتاب البر فضل باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤) مسند أحمد: ٣٤٦/١ .

(٢) صحيح مسلم: ٢٠٣٠/٤ كتاب البر باب فضل من يموت له ولد (٤٧) مسند أحمد: ٤١٩/٢ .

(٣) تقدم تحريجه .

أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾. قال ابن عبد السلام (٢) في (قواعده): الثواب إنما يكون على فعل العبد لا على فعل الله فيه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٣﴾، فما حصل لهم من صلاة الله عليهم ورحمته لهم وهدايته إياهم بقولهم: (إنا لله وإنا إليه راجعون) فلا استرجاع هو سبب في حصول ما ذكر (٤). وكذلك حديث الضحاک بن عبد الرحمن بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل لملك الموت ياملك الموت قبضت ولد عبدي قبضت قرّة عينيه وثمرّة فؤاده قال: نعم قال: فما قال: قال حمدك واسترجع قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» (٥). فحمده واسترجاعه هو سبب بناء البيت له في الجنة وتسمية البيت كافية (٦)، وقد تقدم نقل القاضي عياض (٧) رحمه الله ولشيخ الإسلام

(١) سورة الزمر، الآية ١٠ .

(٢) هو عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المذهب السلمي الدمشقي الشافعي ولد سنة ٥٧٨ هـ تفقه على ابن عساكر له مؤلفات عديدة ناسكاً عابداً وتولى قضاء مصر القديمة ، توفي سنة ٦٦٠ هـ النجوم الزاهرة: ٢٠٨/٧ ، الأعلام: ٢١/١ .

(٣) سورة البقرة، الآيتان ١٥٦، ١٥٧ .

(٤) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ١٢٦/١ .

(٥) مسند أحمد: ٤/٤١٥ ، سنن الترمذي: ٣/٣٣٢ كتاب الجنائز باب فضل المصيبة إذا

احتسب (٣٦) وقال: هذا حديث حسن غريب .

(٦) تسليّة أهل المصائب: ٢٢٢ .

(٧) تقدم ترجمته .

ابن تيمية تفصيل في المسألة، فبعد أن ذكر ما أصيب به الرسول والمؤمنون من المصائب بسبب اختيارهم طاعة الله فقال: (وإن كان صاحب المصائب يثاب على صبره ورضاه، وتكفر عنه الذنوب بمصائبه، فإن هذا (١) أصيب وأوذى باختياره طاعة الله، يثاب على نفس المصائب، ويكتب له بها عمل صالح قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا أَكُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢). بخلاف المصائب التي تجري بلا اختيار العبد، كالمرض وموت العزيز عليه، وأخذ اللصوص ماله، فإن تلك إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نفس ما يحدث من المصيبة، وما يتولد عنها، والذين يؤذون على الإيمان وطاعة الله ورسوله، ويحدث لهم بسبب ذلك حرج أو مرض أو حبس أو فراق وطن وذهاب مال وأهل أو ضرب أو شتم أو نقص رياسة ومال، وهم في ذلك على طريقة الأنبياء وأتباعهم المهاجرين الأولين، فهؤلاء يثابون على ما يؤذون به ويكتب لهم به عمل صالح، كما يثاب المجاهد على ما يصيبه من الجوع والعطش والتعب وعلى غيظة الكفار، وإن

---

(١) هذا إشارة إلى ذكر متقدم وهو المؤمن الذي اختار الأذى بسبب طاعته لله وهو صاحب المصائب .

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٠ .

كانت هذه الآثار ليست عملاً فعله ويقوم به، لكنها متسببة عن فعله الاختياري وهي التي يقال لها متولدة (١) ١.هـ.

فتبين من كلام شيخ الإسلام أن المصائب مكفرات ومثبات وإن كانت بسبب طاعة الله فإنه يثاب عليها وعلى ما يتولد منها، وهذا مادلت عليه النصوص، فقد تقدم جملة من الأدلة على تكفير السيئات.

أما الأدلة العامة على رفع الدرجات فمنها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة» (٢). وفي لفظ: «ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له حسنة أو حطت عنه بها خطيئة» (٣). وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط» (٤). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يصب منه» (٥). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما

(١) أمراض القلوب وشفائها: ٢٠.

(٢) صحيح مسلم: ١٩٩١/٣ كتاب البر ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤) واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم: ١٩٩٢/٤ كتاب البر ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٤).

(٤) سنن الترمذي: ٦٠١/٤ كتاب الزهد باب ماجاء في الصبر على البلاء: هذا حديث حسن

غريب من هذا الوجه، سنن ابن ماجه: ١٣٣٨/٢ كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (٢٣)

وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٢١٦/١، وسلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢٢٧/١ رقم

١٤٦.

(٥) تقدم.

لعبدی المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفیه من أهل الدنیا ثم احتسبه  
إلا الجنة» (١). ومع هذا الأجر العظیم الذي دلت علیه الأحادیث فإنها  
تدل كذلك على التعویض من الله، سواء في الدنیا أو الآخرة، لدلالة  
الأحادیث المتقدمة والآیات الواردة في ذلك منها قوله سبحانه: ﴿مَنْ  
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢). وقوله  
سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣). فهذه الآية كما تقدم في  
تكفير السيئات أن المؤمن لا بد له من ابتلاء حتى عمله ابتلاء من الله  
هل يصبر ويعمله باحتساب أم لا، فإن كان عمله أشغله عن لذة من  
لذات الدنیا فإن العوض من الله خير، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنْ  
اللَّهُ قَالَ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ فَصَبِرَ عَوِضَتْهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةُ» يريد  
عينية (٤). والمتبع لسير المرسلين وأتباعهم، وما أصيبوا به من أذى، يرى  
أن العقابة كانت لهم، سواء في العاجل أو الآجل .

فهذا إبراهيم عليه السلام لما صبر على بلاء قومه عوضه الله بذرية

(١) صحيح البخاري: ١٧٢/٧ كتاب الرقاق باب العمل الذي يتغى به وجه الله تعالى، مسند  
أحمد: ٤١٧/٢ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٥ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٧ .

(٤) صحيح البخاري: ٤/٧ كتاب المرضى باب فضل من ذهب بصره واللفظ له، مسند أحمد:

١٤٤/٣ سنن الترمذي: ٦٠٣/٤ كتاب الزهد باب ماجاء في ذهاب البصر ٤٥٧/٧ .

بارة مطيعة كما قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا جَنَّتًا وَأَجْرُهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ (١). ولما ترك المهاجرون ديارهم لله وأوطانهم التي هي أحب شيء إليهم حيث أمرهم الله قال: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُكُمْ﴾ (٢). أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا، وملكهم شرق الأرض وغربها، فمن اتقى الله عز وجل وترك الشيء له لأجله سبحانه، عوضه الله خيراً عظيماً، كما قال ﷺ: «ماترك عبد شيئاً لله لا يتركه إلا له عوضه الله منه ما هو خير له منه في دينه ودنياه» (٣). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُم يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٤). وكما ترك يوسف الصديق امرأة العزيز لله، واختار السجن على الفاحشة، عوضه الله أن مكنه في الأرض يتبوا منها حيث يشاء.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن المجاهد في الله يهديه الله سبله،

(١) سورة العنكبوت، الآية ٢٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٥٦.

(٣) كشف الخفا: ٢/٢٣٩-٣١٢ الرقم ٢١١٩-٢٤٢٨ واللفظ له مسند أحمد: ٧٨/٥.

(٤) سورة الطلاق، الآيتان ٣، ٢.

ومعلوم أن المجاهد لله لا بد أن يترك كثيراً من الملذات والشهوات ويقبل على الله فعوضه الله أن هداه سبيله وكان معه خاصة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١). وقد عزى الله المؤمنين حين اختاروا الألم المنقطع على الألم العظيم المستمر بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢). فضرب لمدة هذا الألم لا بد أن يأتي وهو يوم لقائه، فيلتذ العبد أعظم اللذة بما تحمل من الألم من أجله وفي مرضاته، وتكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ماتحمل من الألم في الله والله، وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه؛ ليحمل العبد اشتياقه إلى لقاء ربه ووليه على تحمل مشقة الألم العاجل، كما عزاهم تعالى بعزاء آخر وهو أن جهادهم فيه إنما هو لأنفسهم، وثمرته عائدة عليهم، وأنه غني عن العالمين...، ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وإيمانهم في زمرة الصالحين، (٣) كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٤).

ثالثاً: هل التكفير حاصل بمجرد المصيبة أم لا بد من الصبر؟

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٥.

(٣) زاد المعاد: ١٦/٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٩.

## الناس بالنسبة لأقدار الله أربعة أقسام:

**الأول:** من يرضى عن ربه فيها لمزيد من حبه والشوق إليه، وهذا نشأ من مشاهدتهم للطف الله فيهم، وبره وإحسانه العاجل والآجل.

**الثاني:** من يشكر الله عز وجل على المصائب كما يشكر على النعم. وهذا فوق الرضا، إلا أنه غالباً ما يكون على النعم، فهو في فتنه السراء أظهر.

**الثالث:** من يصبر على أقدار الله، وهم المقصودون، ولا يتحقق الرضا والشكر إلا بالصبر.

**الرابع:** الجزع والتسخط والتشكي، واستبطاء الفرج، واليأس من الروح، والجزع الذي يفوت الأجر (١).

وعلى هذا التقسيم فلا بد للمصاب أن يكون من الصابرين فما فوق، أم من الساخطين، وقد ذكر ابن حجر أن الأجر حاصل بمجرد المصيبة، فقال عند سياقه للحديث الأول -حديث عائشة السابق ذكره: (وفي هذا الحديث تعقب على الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٢) حيث قال: ظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور، وهو خطأ صريح؛ فإن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب، والمصائب ليست منها، بل الأجر على الصبر والرضا (٣).

(١) انظر طريق المحررين: ٢١٨ .

(٢) تقدمت ترجمته في ص: ٢٨٦ .

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ١٢٧/١ .



ووجه التعقب أن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر بمجرد حصول المصيبة، وأما الصبر والرضا فقد زائد يمكن أن يثاب عليهما زيادة على ثواب المصيبة، قال القرافي: (١) المصائب كفارات جزماً، سواء اقترن بها الرضا أم لا، لكن إن اقترن بها الرضا عظم التكفير وإلا قل، كذا قال: والتحقيق أن المصيبة كفارة لذنب يوازئها، وبالرضا يؤجر على ذلك، فإن لم يكن للمصاب ذنب عوض عن ذلك من الثواب بما يوازئها (٢) أ.هـ.

والذي يظهر لي بعد هذا النقل أن الأجر لا يحصل إلا مع الصبر، لا بد للإنسان أن يصبر أو يسخط، ولا أعرف مرتبة بينهما، إلا أن الصبر إما أن يكون لله ومع الله فإنه يؤجر على ذلك؛ للآيات والأحاديث التي تحت على الصبر وتأمّر به، وإما أن يكون لغير ذلك من غاياته في الدنيا، أو يجبر على الصبر كصبر البهائم، ويسلي نفسه كصبر الكفار، فإن هذا لا أجر له .

قال ابن القيم بعد أن تكلم على الصبر فقال: المراتب أربعة: أحدها: مرتبة الكمال، وهي مرتبة أولي العزائم، وهي الصبر لله وبالله، فيكون في صبره مبتغياً وجه الله، صابراً به، متبرئاً من حوله

(١) هو: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي المالكي له مصنفات كثيرة في اللغة والأصول منها: أنوار البروق في أنواء الفروق ، والأحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام، وتصرف القاضي والإمام ، والذخيرة ، والواقيت في أحكام الواقيت، توفي سنة ٦٨٤هـ الديباج المذهب: ٢٣٦/١، وشجرة النور: ١٨٨، والأعلام: ٩٤/١ .

(٢) فتح الباري: ١٠/١٠٥، وانظر ١٠٩ .

وقوته، فهذا أقوى المراتب وأرفعها وأفضلها.

الثانية: أن لا يكون فيه لا هذا ولا هذا، فهو أحسن المراتب، وأردأ الخلق، وهو جدير بكل بخذلان وبكل حرمان.

الثالثة: مرتبة من فيه صبر بالله، وهو مستعين متوكل على حوله وقوته، متبريء من حوله هو وقوته، ولكن صبره ليس لله؛ إذ ليس صبره فيما هو مراد الله الديني منه، فهذا ينال مطلوبه ويظفر به، ولكن لاعاقبة له، وربما كانت عاقبته شر العواقب .

الرابعة: من فيه صبر لله لكنه ضعيف النصيب من الصبر به، والتوكل عليه، والثقة به والاعتماد عليه، فهذا له عاقبة حميدة، ولكنه ضعيف عاجز (١) .

وإن حصل مع الصبر على المصائب رضى وشكر فإنه أعظم للأجر، فالرضى بالقضاء الكوني القدرى الجارى على خلاف مراد العبد ومحبه، مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره، مستحب وهو من مقامات أهل الإيمان، بخلاف الرضى بالقدر الجارى عليه باختياره، مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه، كالظلم والفسوق والعصيان، فإن هذا حرام يعاقب عليه، وهو مخالفة لله تعالى (٢). وكذلك الشكر؛ حيث إن الله أمر به وأثنى على أهله ونهى عن ضده، من ذلك قوله تعالى عن إبراهيم في دعوة قومه: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ

(١) مدارج السالكين ١٧٧/٢ .

(٢) انظر مدارج السالكين: ٢٠٢/٢ .

إِنكُم إِنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ . وقال سبحانه:  
﴿ يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَآيَشَاءَ مِنْ تَحَرِيْبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴾ ﴿٢﴾ . إلا أن الغالب في الشكر أن يكون على السراء، وهي من الفتن العامة التي ينبغي للمسلم أن يشكر الله عليها، وليست من المصائب النازلة المقصودة في هذا الموضوع.

فتبين أنه لا أجر بدون الصبر فما فوقه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (المصائب التي تجري بلا اختيار العبد، كالمرض وموت العزيز عليه، وأخذ ماله، فإن تلك إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نفس ما يحدث من المصيبة وما يتولد عنها) (٣) . وأما إن حصل ضد الصبر وهو الجزع والتسخط والتشكي، فإن هذا لا يؤجر، بل قد يحصل له الإثم لقوله ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط» (٤) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «بريء من الصالقة

(١) سورة العنكبوت، الآية ١٧ .

(٢) سورة سبأ، الآية ١٣ .

(٣) أمراض القلوب وشفائها: ٢١ .

(٤) مسند أحمد: ٤٢٧/٥ - ٤٢٩ سنن الترمذي: ٦٠١/٤ وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه .

## والخالقة والشاقة» (١) .

وقوله ﷺ: «ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا

بدعوى الجاهلية» (٢)

ومن حكم الابتلاء التمييز بين المؤمنين والكفار كما تقدمت الإشارة إلى ذلك عند التمهيد. فالتمييز: من مزت الشيء أميزه ميزاً: عزلته وفرزته، وكذلك ميزته تمييزاً فانماز، وامتاز، وتميز، واستماز كله بمعنى، يقال: امتاز القوم إذا تميز بعضهم من بعض، وفلان يكاد يتميز من الغيظ أي ينقطع (٣). هذا معنى التمييز في اللغة، فالمراد هنا تمييز المؤمن من الكافر، وقد ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤). قال الطبري رحمه الله تعالى: ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ منهم، في قولهم: (آمنا)، ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ منهم في قولهم ذلك، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك:

(١) صحيح البخاري: ٨٣/٢ كتاب الجنائز باب ما ينهى الخلق عند المصيبة (٣٨) صحيح مسلم: ١٠٠/١ كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الحدود (٤٤) .

الصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة.

الخالقة: هي التي تخلق شعرها .

(٢) صحيح البخاري: ٨٣/٢ كتاب الجنائز باب ليس منا من ضرب الحدود (٣٩) صحيح

مسلم: ٩٩/١ كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الحدود (٤٤) ودعوى الجاهلية: هي النباحة ونذبة الميت والدعاء بالويل وشبهه، النووي على مسلم: ١١٠/٢ .

(٣) الصحاح للجوهري: ٨٩٧/٣ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٣ .

وليطهرن الله الصادق منهم في قلبه: آمنا بالله، من كذب الكاذب منهم، بابتلائه إياه؛ ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه (١) .

والله عز وجل بين في كتابه عن تمام حكمته، وأن حكمته لاتقضي أن كل من قال: أنه مؤمن، وادعى لنفسه الإيمان؛ أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والحن، ولا يعرض لهم مايشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك لم يتميز الصادق من الكاذب، والحق من المبتل، ولكن سنته تعالى في الأولين وفي هذه الأمة أن يتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، وبمجاهدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة.

فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولايتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق، وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أوالصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته دل ذلك على صدق إيمانه وصحته، ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وريباً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه (٢). فعلى هذا يكون الابتلاء تخلص الخير من الشر وتمييزه،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٢٩/٢٠ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ٦٦/٦ .

سواء في الدنيا أو الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١)، وكما قال ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفا فلا تضربه فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً» (٢) كالكوز مخجياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه» (٣). وعلى هذا فهل يمكن تمييز الخبيث من الطيب بدون ابتلاء؟ إنه لا بد للتمييز من ابتلاء، فما يصيب المؤمن في هذه الدار من أدالة عدوه عليه، وأذاه له في بعض الأحيان أمر لازم لا بد منه، وهو كالحر الشديد والبرد الشديد، والأمراض والهموم والغموم، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى الأطفال والبهايم، لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر والنفع من الضر واللذة عن الألم لكان عالماً غير هذا ونشأة أخرى غير هذه النشأة (٤).

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٧.

(٢) المرباد: هوشدة البياض في سواد (أو شبه البياض) والكوز مخجياً أى منكوساً: صحيح مسلم: ١٣٠/١.

(٣) صحيح مسلم: ١٢٨/١ كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً: ٦٥ واللفظ له، مسند أحمد: ٣٨٦/٥: ٤٠٥.

(٤) إغاثة اللهفان: ١٨٩/٢.

إذا لابد من الابتلاء، فلو كان المؤمنون دائماً منصورين قاهرين غالبين لدخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول، فإنه إنما ينضاف إلى من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً لم يدخل معهم أحد، فاقتضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة وعليهم تارة، فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه<sup>(١)</sup>. وقد مرت حوادث على الأمة الإسلامية تميز فيها الصادق من المنافق، ومن أبرزها ما حصل في غزوة أحد حين خرج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى أحد، قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> حتى إذا كانوا بالشوط<sup>(٣)</sup> بين المدينة وأحد انخزل عنه عبدالله بن أبي بن سلول بثلاث الناس وقال: (أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل هاهنا أيها الناس)، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب<sup>(٤)</sup>، وقد ذكر ابن القيم من الحكم في غزوة أحد فقال: (ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطاهم الصيب، ودخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه

(١) انظر: إغاثة اللهفان: ١٩٠/٢ .

(٢) هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار العلامة الحافظ الأخباري صاحب السيرة، ولد سنة ثمانين هـ ورأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وهو أول من دون العلم بالمدينة وكان في العلم بجرأ عجاجاً توفي سنة ١٥١ هـ روى له مسلم في المتابعات واستشهد به البخاري وأخرج أرباب السنن له طبقات ابن سعد: ٣٢١/٧، سير النبلاء: ٣٣/٧ التاريخ الكبير: ٤٠/١: معجم البلدان: ٣٧٢/٣ .

(٣) اسم حائط يعني بستاناً في المدينة بينها وبين أحد. معجم البلدان: ٣٧٢/٣ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٨/٣ وانظر المغازي للواقدي: ٢١٩/١ .

باطناً، فاقترضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمنين والمنافق، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة وتكلموا بما كانوا يكتُمونه، وظهرت مخبأتهم وعاد تلويحهم تصريحاً، وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق انقساماً ظاهراً<sup>(١)</sup>، وكما في قصة الأقرع والأعمى والأبرص، التي ميز الله فيها بين الغني الشاكر والكافر، وقد ميز الله بين المؤمنين والمنافقين وقد بين سبحانه أن المنافقين لا يتحملون أي أذى يصيهم في ادعائهم الإيمان، فهم لا يصبرون ويعدون أي أذى كأنه هو عذاب الله، الذي بين سبحانه أنه شديد. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

الناس في الابتلاء ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلاء والمحن، فإن رَدَّه ذلك الابتلاء والامتحان إلى ربه، وجمعه عليه وطرحه ببابه، فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، فمن حكمة الابتلاء بالنسبة للمؤمنين: تكميل العبودية لله في السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالته والإدالة عليهم، فله سبحانه على العباد في كلتا الحالتين عبودية، بمقتضى تلك الحال، لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم

(١) زاد المعاد: ٢١٩/٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ١٠.



القلب بدونها، كما لاتستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد والجوع والعطش والتعب والنصب وأضدادها، فتلك الحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني، والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع<sup>(١)</sup>. ومن العبودية أن يشكو العبد إلى ربه ويتضرع إليه ويدعوه، فالله يحب ذلك من العبد، (فهو سبحانه يرى عباده إذا نزل بهم ما يختبرهم به من المصائب وغيرها، ويعلم خائنة أعينهم وما تخفي صدورهم، فيثيب كل عبد على قصده ونيته، وقد ذم الله تعالى من لم يتضرع إليه، ولم يستكن له وقت البلاء)<sup>(٢)</sup>. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. فالله عز وجل يذيق عبده ألم الحجاب عنه والبعد، وزوال ذلك الأنس والقرب ليمتحن عبده، فإن أقام على الرضى بهذه الحال، ولم يجد نفسه تطالبه بحالها الأولى مع الله، بل اطمأنت وسكنت إلى غيره، علم أنه لا يصلح فوضعه في مرتبته التي تليق به .

وإن استغاث به استغاثة الملهوف، وتعلق تعلق المكروب، ودعا دعاء المضطر، وعلم أنه قد فاتته حياته حقاً، فهو يهتف بربه أن يرد عليه حياته، ويعيد عليه ما لا حياة له بدونه، علم أنه موضع لما هو أهل له، فرد أحوج ما هو إليه، فعظمت به فرحته، وكملت به لذته، وتمت

(١) إغاثة اللهفان: ١٩٠/٢ .

(٢) تسلية أهل المصائب: ٢١٧- ٢١٨ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٧٦ .

به نعمته، واتصل به سروره، وعلم حينئذ مقداره، فَعَضَّ عليه بالنواجذ، وثنى عليه الخناصر، وكان حاله كحال ذلك الفاقد لراحته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذ وجدها بعد معاينة الهلاك (١).  
فما أعظم موقع ذلك الوجدان عنده، ولله أسرار وحكم ومنبهات وتعريفات لا تنالها عقول البشر.

القسم الثاني: إذا ابتلي الإنسان ولم يرده ذلك البلاء إلى الله، بل شرد قلبه عنه وردّه إلى الخلق، وأنساه ذكر ربه، والضراعة إليه، والتذلل بين يديه والتوبة والرجوع إليه، فهو علامة شقاوته، وإرادة الشر به، فهذا إذا أقلع عنه البلاء رده إلى حكم طبيعته، وسلطان شهوته، ومرحه وفرحه، فجاءت طبيعته عند القدرة بأنواع من الشر والبطر، والإعراض عن شكر المنعم عليه بالسراء، كما أعرض عن ذكره والتضرع إليه في الضراء، فبلية هذا وبال عليه، وعقوبة ونقص في حقه (٢). ويردُّ على هذا:

مسألة: هل المصائب في الدنيا للمؤمنين فقط؟

وأقول: إنها ليست خاصة بالمؤمنين، فما يرى فيه الكافر والفاجر والمنافق من العز والنصر والجاه، فهو دون ما يحصل للمؤمنين بكثير، بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان، وإن كان في الظاهر بخلافه. قال الحسن البصري رحمه الله: (أما والله لئن تدققت بهم الهماليح، ووطئت

(١) مفتاح دار السعادة: ٢٩٦/١ .

(٢) طريق المحرّتين ، ٩٦٤ .

الرجال أعقابهم، إن ذل المعصية لفي قلوبهم، ولقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذله<sup>(١)</sup>. وقد يشكل على بعض الناس حديث رسول الله ﷺ وهو: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»<sup>(٢)</sup>. ولكن يزول هذا الإشكال إذا علم أن المؤمن على ما هو فيه بالدنيا من العزة والنصر بالنسبة إلى ما يلاقه عند الله في الجنة من النعيم المقيم كأنه كان في سجن، أما الكافر لما هو فيه في هذه الدنيا على أي حال كان بالنسبة لما أعدّه الله له من الجحيم والتكال العظيم فكأنه في جنة<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الثالث:

هل للمسلم أن يستدعي البلاء على نفسه؟

تقدم في حكمة الابتلاء والفتن أن فيها أجراً عظيماً وتكفيراً للسيئات، فهل للمسلم أن يستدعي البلاء على نفسه؛ طلباً لهذا الفضل العظيم، أو يترك ما أوجبه الله عليه خوفاً من الفتنة؟ وهذا يرجع إلى الحكمة في الأمور والعمل لكل وقت بما يناسبه، فالمتبع لسيرة المصطفى ﷺ وهو أكمل المؤمنين إيماناً وأقوى توكلًا وأعظم داعية يرى أنه لا يستدعي البلاء على نفسه، ولا يترك ما أوجبه الله عليه، وإنما جمع بين التوكل والعمل بالأسباب، فقام بالدعوة إلى الله خير قيام، حسب

(١) حلية الأولياء: ١٤٩/٢ .

(٢) صحيح مسلم: ٢٢٧٢/٤ كتاب الزهد (١) سنن الترمذي: ٥٦٢/٤ كتاب الزهد باب

ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر سنن ابن ماجه: ١٣٧٨/٢ كتاب الزهد باب الهم

بالدنيا (٣) مسند أحمد: ٣٢٣/٢ - ٣٨٩ .

(٣) انظر النووي على مسلم: ٩٣/١٨ .

مقتضى الظروف والأحوال المقرونة بحكمة الله وأمره وشرعه، فقد ثبت عنه ﷺ أنه دخل بعد رجوعه من الطائف بجوار المطعم بن عدي ليجيره من أذى قريش، حتى يبلغ رسالة ربه (١)، وكان ﷺ يخرج إلى القبائل أيام الموسم ويدعوهم إلى الإسلام ويقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي» (٢). كذلك هجرته ﷺ وهجرة أصحابه الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة، تدل دلالة واضحة على أنه لا يجوز للمسلم أن يستدعي البلاء على نفسه، حيث لم يستمر الرسول ﷺ في مواجهة القوم كما أنه كان يحمي نفسه من الأعداء في المعارك، وينهى الصحابة من تعرضهم للبلاء، وإيجابهم على أنفسهم ما لم يوجبه الله عليهم، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «لا ينبغي للمسلم أن يذل نفسه»، قالوا: وكيف يذل نفسه قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق» (٣). وقال ﷺ لعبدالرحمن بن سمرة: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٠ .

(٢) سنن الترمذي: ١٨٤/٥ كتاب فضائل القرآن باب ٢٤ ، سنن أبي داود: ١٠٣/٥ ، كتاب السنة في القرآن: ٢٢ ، سنن ابن ماجه: ٧٣/١ ، المقدمة باب في ما أنكرت الجهمية (١٣) ، حديث (٢٠١) مسند أحمد: ٣/٣٩٠ ، سنن الدارمي: ٢/٣١٧ ، كتاب فضائل القرآن باب القرآن كلام الله .

(٣) مسند أحمد: ٤٠٥/٥ سنن الترمذي: ٥٢٣/٤ كتاب الفتن باب ٦٧ وقال: هذا حديث حسن غريب سنن ابن ماجه: ١٣٣٢/٢ كتاب الفتن باب قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ المعجم الكبير للطبراني عن حذيفة وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢٥٣/٦ رقم ٧٦٧٤ وسلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٧٢/٢ رقم ٦١٣ .

من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير»<sup>(١)</sup>. ويقول ﷺ عن الطاعون: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، ولكن إذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»<sup>(٣)</sup>. وتعوذ ﷺ من فتنة الغنى والفقر والدينا والنار، وغير ذلك قال العلماء: أراد ﷺ مشروعية ذلك لأئمة<sup>(٤)</sup>. يقول ابن تيمية بعدما ساق هذه الأحاديث: (وأمثال ذلك مما يقتضي أن الإنسان لا ينبغي له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء، ويحرم عليه أشياء، فيدخل بالوفاء، كما يفعل كثير ممن يعاهد الله عهداً على أمور، وغالب هؤلاء يتلون بنقض العهد، ويقتضي أن الإنسان إذا ابتلي فعليه أن يصبر ويثبت، ولا ينكل حتى يكون من الرجال الموقنين القائمين

(١) صحيح البخاري: ١٠٦/٨ كتاب الأحكام باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله وفي الكفارات والأيمان والنذور. صحيح مسلم: ١٢٧٣/٣ كتاب الأيمان باب ندب من حلف يميناً (٣) والإمارة باب النهي عن طلب الإمارة (٣) كما أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد: ٦٢/٥ - ٦٣ .

(٢) صحيح البخاري: ١٧٣٧/٤ كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون واللفظ له، صحيح مسلم: ١٧٣٧/٤ كتاب السلام باب الطاعون والطير .

(٣) صحيح البخاري: ٢٤/٤ كتاب الجهاد باب لا تتمنوا لقاء العدو ، صحيح مسلم: ١٣٦٣/٣ كتاب الجهاد باب كراهية تمني لقاء العدو (٦) سنن أبي داود كتاب الجهاد: ٩٥/٣ باب في كراهية لقاء العدو .

(٤) فتح الباري: ٤٤/١٣ مسند أحمد: ١٨٢/١ - ١٩٤ ، ٢٠١/٥ ، ٢٠٨ .

بالمواجبات، ولا بد في جميع ذلك من الصبر<sup>(١)</sup> ا. هـ .

وهذا لا يسقط الواجب على المسلم، بل عليه أن يؤدي ما أوجبه الله عليه حسب استطاعته، فإن ابتلي صبر واحتسب، ولذلك يقول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»<sup>(٢)</sup>. فإذا تعين على المسلم واجب فعليه أن يسلك السبل التي تعينه على الواجب، ولا يلقي بنفسه في التهلكة، ولا يترك الواجب لشيء دونه فيكون كمن قال الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ أَتَذُنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. فالفتنة قسمت الناس إلى صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيب وخبيث، فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها؛ لأنه وقع بالمعصية وفر من الواجب إلى ما يميل له طبعه وهواه، كما قال

(١) التحفة العراقية في أعمال القلوب لابن تيمية ص ٤٦ ، وانظر الزهد والورع والعبادة له ص ١٨ .

(٢) صحيح مسلم: ٦٩/١ كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان سنن النسائي: ١١١/٨ ، كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان - سنن أبي داود: ٦٧٧/١ كتاب الصلاة باب خطبة يوم العيد: ٢٤٨ - مسند أحمد: ٢٠/٣ - سنن ابن ماجه: ٤٠٦/١ كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة العيدين .

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٩ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٣ .

تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُلُ أَذْنَ لِي وَلَا تَقْتُلْ آلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١). يقوله الجدل بن قيس لما ندبه رسول الله ﷺ إلى تبوك يقول: ائذن لي في القعود ولا تفتني بتعريض لبنات بني الأصفر، فإني لا أصبر عنهن، فالذين استأذنوا لهذا السبب وقعوا في فتنة النفاق، وفروا إليها من فتنة بنات الأصفر، فالفتنة التي فر منها - بزعمه - هي فتنة محبة النساء وعدم صبره عنهن، والفتنة التي وقع فيها هي فتنة الشرك والكفر في الدنيا، والعذاب في الآخرة (٢). يقول ابن تيمية ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والحن ما يتعرض به المرء للفتنة صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك، بأنه يطلب السلامة من الفتنة (٣). ويقول نفس إعراضه عن الجهاد الواجب ونكوله عنه، وضعف إيمانه ومرض قلبه الذي زين له ترك الجهاد، فتنة عظيمة قد سقط فيها فكيف يطلب التخلص من فتنة صغيرة لم تصبه بوقوعه في فتنة عظيمة قد أصابته، والله تعالى يقول: ﴿وَقَلِيلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلِمُ اللَّهُ فَإِنَّ أُنْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤)، فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة، فهو

(١) سورة التوبة، الآية ٤٩ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٤٨/١٠: أسباب النزول للواحدي: ٢٨٤، زاد المعاد: ١٦٩/٣ .

(٣) الاستقامة: ٢٨٧/٢ .

(٤) سورة الأنفال، الآية ٣٩ .

في الفتنة سقط بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده، وتركه ما أمر الله به من الجهاد، فتدبر هذا فإن هذا مقام خطر<sup>(١)</sup>. فالله عز وجل أمر المسلم أن يقوم بالواجب، وأن خوفه من الفتن لا يعفيه منه، كما قال تعالى:

﴿الْمَرْءَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وبين سبحانه أن من قام بالواجب أعانه الله عليه، كما قال سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. فعلى المسلم أن يسلك سبيل الدعوة إلى الله بالطرق التي بينها الله، وإذا حصل له ضرر فعليه أن يدفعه بكل وسيلة مشروعة، كما تقدم من سيرة المصطفى ﷺ. وعليه أن يصبر ويحتسب فإنه أعظم لأجره .

#### المبحث الرابع: أنواع الفتن:

للفتن صور وأنواع عدة، كما تقدم في تعريفها وأنها بحسب ما يضاف إليها، وقد بين الله عز وجل عدة أنواع للفتنة وهي بمجملها تنقسم إلى قسمين:

الأول: الشبهات.

الثاني: الشهوات.

وقد تجتمع الفتنتان كما في الدجال الذي هو أعظم فتنة حذرنا الرسول ﷺ منها.

(١) الاستقامة: ٢٨٩/٢ .

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان ٢٤، ٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٩ .



فالأولى هي المعارضة للعقيدة، التي لا يسلم منها إلا من عرف الله ورسوله، وهي تأتي من ضعف البصيرة وقلة العلم، وخاصة إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، وهي تؤدي إلى الكفر والنفاق والبدع، وهذا هو الضلال الذي من اتباع الفتن والشبهات ومنها:

١ - شبهة إيذاء الناس بترك ما أوجبه الله .

٢ - عبادة الأصنام وتزيين الشيطان .

٣ - شبهة الخوف من الموت وفوات الرزق بترك ما أوجبه الله .

ومن أنواع الفتن فتنة الناس، وهي من فتن الشبهات، فالناس يؤذون وتختلف درجاتهم في هذا الإيذاء، والله سبحانه ذكر صنفاً من الناس لا يتحملون أي أذى في سبيل الله، فهؤلاء إيمانهم ليس بصادق وذلك لضعف إيمانهم، فإذا أُوذِيَ أحدهم بضرب أو أخذ مال أو تعيير ليرتد عن دينه ويرجع إلى الباطل - ويظن أن ما حصل له من هذا الأذى مثل عذاب الله وشتان - فإن هذا يجزع من عذاب الناس وأذاهم، ولا يصبر عليه فيطيعهم<sup>(١)</sup>. كطاعة الخائف من الله لله، وإيذاء الكفار للمؤمنين من أنواع الابتلاء والفتن، فالمنافقون الذين يقولون آمنا بألستهم ولم تؤمن قلوبهم إذا حصل للمسلمين من الكفار أذى وهم معهم، جعلوا فتنة الناس أي أذاهم<sup>(٢)</sup> مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الأليم الدائم، فمن في قلبه مرض اشتبه عليه الأمر، فظن أن العذابين

(١) انظر تفسير البغوي: ٤٦٢/٣: وتيسير الكريم الرحمن ٧٠/٦ .

(٢) انظر أضواء البيان: ٤٦٢/٦ .

سواء، فأثر الراحة، فالناس يفتن بعضهم بعضاً عن الإيمان، ويصرف بعضهم بعضاً عن الحق، ويردي بعضهم بعضاً في الباطل، إما بالقوة والغلبة، أو بالإغواء والإغراء والأمانى، ولكن المؤمنين لا يضرهم ذلك بل يزداد إيمانهم ويقينهم مهما كان الإيذاء وكانت درجاته. وإليك صوراً رائعة من صبرهم: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ (١)، فعند هذه الآية يذكر المفسرون أصحاب الأخدود وما حصل لهم من أذى وفتنة، فعن صهيب الرومي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر الراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب:

(١) سورة البروج، الآية ١٠.

أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه<sup>(١)</sup> والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: إي بني قد بلغ من سحرك ماتبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيّل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعي بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيّل له ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيّل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل

(١) الأكمه: الذي خلق أعمى - النووي على مسلم: ١٣٠/١٨ .

فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقورة<sup>(١)</sup>. فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك ف قيل له: أ رأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفوه السكك فخذت، وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه<sup>(٢)</sup> فيها، أو قيل له اقتحم، ففعلوا حتى جاءت

(١) قرقورة: بضم القاف: السفينة الصغيرة وقيل الكبيرة وهو اختيار القاضي عياض - النووي

على مسلم: ١٣١/١٨ .

(٢) فاحموه وفي رواية فأقحموه، ومعناه أي اطرحوه فيها كرهاً واحموه من قولهم، حميت الحديد =

امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق» (١) .

وقد أودى رسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم حتى تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا إلى المدينة.

ومن فتن الشبهات: شبهة عبادة الأصنام وتزيين الشيطان .

فعباد الأصنام ظنوا أن هذه الأصنام تقربهم إلى الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٢). فهم يقولون تشفع لنا، فهم يخاطبون الأصنام ويقولون: إنا نخاطب أصحابها وهذا مما لم يشرعه الله (٣). فأصل المشركين صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم: فشبهة قوم نوح تعظيم الصالحين والعكوف على قبورهم، حتى وصل الأمر بهم إلى الشرك. وشبهة قوم إبراهيم في الكواكب والشمس والقمر ممازجته لهم الشياطين (٤)، ومما يعتقدون فيها من المودة بينهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

= وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمي ، النووي على مسلم: ١٨ .

(١) صحيح مسلم: ٢٢٩٩/٤ كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود واللفظ نه، مسند

أحمد: ١٧/٦ ، جامع البيان عن تأويل القرآن: ١٣٣/٣٠ حيث أوردها الطبري بسنده .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٣ .

(٣) انظر فتاوى ابن تيمية: ١٥/١ .

(٤) انظر فتاوى ابن تيمية: ١٥٧/١ .

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا  
وَمَا وَنَكُمْ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿١﴾. كما أن الشياطين  
يزينون كل سوء ومنكر، فهم يعينون عباد الأصنام ويتزينون لهم في  
صور صالحة تشبيهاً وتليساً عليهم، فيقول أحدهم أنا إبراهيم أنا  
المسيح أنا محمد أنا الخضر، وقد يقول بعضهم عن بعض هذا هو النبي  
وهذا هو الخضر، ويكون أولئك كلهم جنأً يشهد بعضهم لبعض (٢).  
وفتنة الشيطان من أعظم الفتن وخاصة إذا هم الإنسان بالخير أو دخل  
به، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه وقد قال ﷺ: «إن الشيطان قعد  
لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذر دينك ودين  
آبائك وآباء أهلك؟ قال: فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال:  
أتهاجر وتذر أرضك وسماؤك وإنما مثل المهاجر كالغرس في الطول؟ قال:  
فعصاه فهاجر، قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: هو جهد النفس  
والمال، فقال: فتقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويقسم المال؟ قال: فعصاه  
فجاهد» (٣). لذلك حذر الرسول ﷺ منه وبين أن من عصاه فقد نجأ  
وفاز، وهذا ما يدل عليه بقية الحديث حيث قال: «...فمن فعل ذلك  
منهم فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة أو قتل كان حقاً على

(١) سورة العنكبوت، الآية ٢٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٧/١.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٤٨٣/٣ واللفظ له، سنن النسائي: ٢١/٦ الجهاد مصنف ابن أبي شيبة ٢٩٣/٥ صحيح ابن حبان (الترتيب): ٥٧/٧ السير باب إيجاب الجنة للمهاجر والغازي انظر صحيح الجامع: ٧٢/٢.

الله عز وجل أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة» (١)

وشبهات الشيطان التي يلقيها في القلوب كثيرة؛ لذلك أمرنا بالاستعاذة منه كثيراً وخاصة عند قراءة القرآن؛ لأنه من أهم أعمال الخير وفيه فلاحنا ونجاحنا.

وقد بين الله أن في هذه السورة أناساً وقعوا في فتنة الشيطان أغراهم فهلکوا قال تعالى: ﴿وَعَادَا وَثُمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُم مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٢) فحسن لهم الشيطان كفرهم بالله، وتكذبيهم رسله فصدهم عن السبيل فردهم بتزيينه لهم ما زين لهم من الكفر والصد عن سبيل الله، التي هي الإيمان به وبرسله (٣). مع ما لهم من العقول وما لديهم من دلائل الهدى، ولكن الشيطان بقوة فتنته جاءهم من باب غرورهم بأنفسهم وإعجابهم بما يأتون من الأعمال، وما هو فيه من مال ومتاع، فضيع عليهم الفرص مع ما يملكون من التبصر (٤). كما وصفهم الله بذلك في آخر الآية فقال: ﴿وَعَادَا وَثُمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُم مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٥).

(١) إكمال للحديث الذي قبله .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٣٨ .

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن: ١٥٠/٢٠ .

(٤) انظر في ظلال القرآن: ٢٧٣٥/٥ .

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٣٨ .

ومن الشبهات التي تعترض الإنسان: شبهة الخوف من الموت، وشبهة الخوف من الرزق، فالإنسان لا يجوز له أن يترك ما أمره الله به خوفاً من أن يأتيه الموت، أو ينقطع رزقه، فإن الموت لا بد حاصل، وكذلك الرزق، لذلك ذكرها الله بعد الأمر بالهجرة، وهون عليهم أمرها لئلا يكونا سبباً في التأخر عن أمر الله، فقال تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِ ارْضَىٰ وَسِعَةٌ فَيَأْتِيَنِي فَأَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿١﴾. سواء من هاجر أو جلس، والأجل محدد، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٢). وكذلك الرزق المقسوم سيأتي الإنسان، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح . فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة» (٣) . ولما كانت مفارقة الأوطان عزيزة على النفس

(١) سورة العنكبوت، الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ٣٤ .

(٣) صحيح البخاري: ٧٨/٤ كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة وكتاب القدر: ٢١٠/٧، باب

(١) وكتاب التوحيد: ١٨٨/٨ باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين واللفظ له، صحيح

مسلم: ٢٠٣٦/٤ كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي (١) كما أخرجه أحمد والترمذي =



كربة لها بين الله سبحانه أن المكروه واقع لآماله إن لم يكن بالهجرة فهو حاصل بالموت، فأولى أن يكون في سبيل الله كما أن الرزق حاصل وأسباب البحث عنه متوفرة في جميع بلاد الله الواسعة، فلا يكون طلبه في بقعة معينة سبباً في ترك أمر الله بالهجرة .

فإن حقّر أمر الدنيا عموماً لئلا ينظر المؤمن إلى عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه أن يموت أو يجوع أو نحو هذا<sup>(١)</sup>. فالموت حاصل، والرزق جار، فالبدار إلى طاعة الله والهجرة إليه، فإن الله لما أمر بالهجرة ذكر بعدها الموت، ثم ذكر الرزق وأن البهائم على ضعفها وعدم تفكيرها قد تكفل الله برزقها، فكيف، بابن آدم الذي أعطاه الله أسباب المعاش، وهيئة لعبادته، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وبعد أن حث على العمل والصبر ذكر الرزق فقال: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>، فالرزق للجميع يستوي في ذلك: الحريص، والمتوكل، والراغب، والقانع، والحيول، والعاجز، حتى لا يغتر الجلد أنه مرزوق بجلده، ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه<sup>(٤)</sup>. ومن فتن الشبهات التي عمت في هذا الزمن، وانخدع بها كثير من الناس، الفتنة بالكفار، وفتنتهم بنا نحن

= وأبوداود وابن ماجه .

(١) انظر أحكام القرآن للقرطبي: ٣٥٨/١٣ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٥٧ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٠ .

(٤) انظر أحكام القرآن للقرطبي: ٣٦٠/١٣

المسلمين. فالمسلمون يدعون الإسلام ويأتون بما يبرأ منه الإسلام، ويعتقدون أن ذلك من صميمه، وكما يوجد في كثير من بلاد المسلمين من الجهل والفقر والذل، فظن الكفار أن هذا هو الإسلام فنفروا منه وسخروا به، فكان ذلك فتنة عظيمة لهم، وحجاباً كثيفاً إلا من نظر منهم نظر علم وإنصاف، فإنه يعرف أن هذا ليس هو الإسلام. والكفار يراهم المسلمون الجهال في عز وسيادة وتقدم علمي وعمراني، فينظرون إلى تلك الناحية، فيندفعون في تقليدهم في كل شيء، حتى معائبهم ومفاسدهم، وصدق رسول ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» (١). فصار المسلمون يزدرون أعز عزيز لديهم إلا من رحم الله ونظر بعين العلم، وعرف أن كل ما عندهم من علم هو عندنا، وفي ديننا وتاريخنا، وما عندهم من شر فهو شر على حقيقته. فكانوا فتنة للمسلمين الذين تهمهم المظاهر، فتسلبهم إدارتهم فلا يفرقوا بين اللب والقشور (٢).

### فتنة اتباع المتشابه:

يجب على كل مسلم الإيمان بالله جل وعلا، وبأسمائه وصفاته وأنه

(١) صحيح البخاري: ١٤٤/٤، كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل وكتاب

الاعتصام: ١٥١/٨، باب قول النبي ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم» واللفظ له في

الأول. صحيح مسلم: ٣٠٥٤/٤، كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

(٢) انظر مجالس الذكر والتأنيس لابن باديس: ٦٧، دار الفكر - الطبعة الثانية.

يجب الإيمان بها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولكن هناك من انحرف عن هذا الطريق واتبع ما تشابه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١)، وسبب نزول هذه الآية: أن وفدا من نصارى نجران تخاصموا إلى النبي ﷺ فقالوا: ألسنت تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ (٢)، قال: «بلى»، قالوا: فحسبنا ما أنزل الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ﴾ (٣)، ثم إن الله جل ثناؤه أنزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ (٤) (٥)، وقيل غير ذلك . وقال آخرون: بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمداً ﷺ يتأوله من بعض آي القرآن المختلفة التأويلات، وإن كان الله قد أحكم بيان ذلك، إما في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ (٦).

وهذا مايدل عليه عموم الآية وإن كانت نزلت بسبب خاص فأهل

(١) سورة آل عمران، الآية ٧ .

(٢) يقصدون عيسى بن مريم انظر أسباب النزول ص: ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٥٩ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧ .

(٥) جامع البيان عن تأويل القرآن ١٧٧/٣ ، وانظر أسباب النزول للواحيدي ١٢٨ .

(٦) جامع البيان عن تأويل القرآن ١٧٧/٣ .

الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم كما قال مجاهد<sup>(١)</sup>: أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل كما قال فيهم الإمام أحمد: هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضللون الناس بما يشبهون عليهم<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية: (المتشابه الموجود في القرآن تشابه نسبي فقد يتشابه عند هذا مالا يتشابه عند غيره<sup>(٣)</sup>). يؤيد هذا قول المصطفى ﷺ:

«الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب<sup>(٤)</sup>».

ومن قال من السلف أن المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله فقد أصاب أيضاً ومراده بالتأويل ما استأثر الله بعلمه مثل وقت الساعة وبجيء

(١) هو: مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود مولى بني مخزوم، روى عن ابن عباس وعرض عليه القرآن ثلاثين مرة كما روى عن أبي هريرة وعائشة وسعد ابن أبي وقاص وغيرهم وكان ثقة له غرائب، توفي سنة ١٠٠ هـ سير أعلام النبلاء: ٤/٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٤٢/١٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٤٤/١٣.

(٤) صحيح البخاري: ١٩/١ كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه واللفظ له، صحيح مسلم: ١٢١٩/٣ كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات، كما أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد: ٢٦٩/٤.

أشراطها ومثل كيفية نفسه وما أعده في الجنة لأوليائه (١) . أما الذين في قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحِيدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) . ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (٣) . وغير هذه الآيات ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة؛ ليفتنوا به الناس إذا وضعوه على غير مواضعه وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التي أخبر عنها (٤) . فمن الفتنة بالمتشابه ما أحدثه أهل الكلام في أسماء الله وصفاته حيث أولوا وحرّفوا الكلم عن مواضعه فمما أنكروا السمع فقالوا: إنه لم يجيء خبر عن رسول الله ﷺ (إن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر) (٥) . كما أنكروا العلم والقدر.

### فتن الشهوات:

فتن الشهوات هي المعارضة للإرادة وقد تجر فتنة الشهوة إلى شبهة، فالشهوات هي الغي واتباع الهوى فالإنسان إذا تمادى مع نفسه وأطلق لها العنان في كل ما تشتهيه فإن ذلك سيجره إلى تلبية الهوى حتى في الأمور الاعتقادية أو الأحكام الشرعية مما يجعله يبيّن أحكاماً توافق هوى نفسه وشهوته فيقع في الشبهات.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٤٤/١٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٣ .

(٣) سورة طه، الآية ١٤٤ .

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٧٧/١٣ .

(٥) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي: ٤٦ .

## ومن فتن الشهوات:

### ١- فتنة الأهل والأحباب :

فالإنسان يخشى على أهله وأحبابه أن يصيبهم الضرر بسببه وهو لا يملك الدفاع عنهم وهم ينازعونه ما هو فيه من أمر الدين ليتنازل من أجلهم باسم الحب والقرابة وصلة الرحم ولكن هل يستجيب لهم أم لا؟ إن هذا يتوقف على قوة إيمانه وضعفه فهذا سعد بن أبي وقاص كما تقدم حاولت أمه أن تفتنه عن دينه ولكنه أعرض عنها مع ما كانت تكن له من الرعاية والحب فكان في رغد من العيش يلبس أحسن الثياب يتقلب في النعمة والثراء ولكن لما دخل الإيمان في قلبه لم يعبأ بشيء من ذلك فهو يقول: (لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ومالنا طعام إلا ورق الشجر حتى يضع أحدنا كما تضع الشاة) (١) . والله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) . ويقول سبحانه: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

وعداوتهم قد تكون بالمحاربة والمبارزة كما حصل لبعض الصحابة مع أهلهم في بدر فهذه العداوة لأجل العقيدة والدين وقد تكون العداوة والفتنة ليست ظاهرة كذلك وإنما هي سبب لغفلته وتناقله من أمر الله

(١) الحلية لأبي نعيم: ٩٢/١، مسند الطيالسي: ٢٩/١ .

(٢) سورة التغابن، الآية ١٥ .

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٨ .

من الجهاد وغيره.

وعن أبي بريدة قال: (كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»<sup>(٢)</sup> .

والإنسان بطبعه يحب الجاه والأموال والأولاد والرياسة فهذه من الأحباب التي قد يفتتن بها الإنسان وهي من متاع الحياة الدنيا الزائل لذلك حذرنا الله من الدنيا عموماً فقال سبحانه: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> . ومن فتن الشهوات: فتنه الجاه وحب العالي كما امتنع بعض كفار قريش عن الإيمان بمحمد ﷺ جحداً لرسالته مع اعترافهم بها بقرارة أنفسهم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> . والجحود لا يكون إلا بعد المعرفة<sup>(٥)</sup> . وكان من

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٨ .

(٢) تقدم تخرجه .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٤ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٧ .

(٥) انظر تفسير الطبري ٤/٢١ .

أسباب ذلك خوفهم من نزول جاههم وسلطانهم (فقد ورد أن أبا جهل بن هشام حين جاءه الأخنس وقال له: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاذبنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه) (١). وكذلك فرعون حبه للتعالي والعدوان أعماه عن اتباع موسى فهذه الفتنة أوقعته في فتنة أشد ووقع في فتنة الشبهة حتى وصل به الأمر أنه ادعى الربوبية حيث قال تعالى عنه: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (٢) قال تعالى: ﴿ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنِ وَهَمَلْنِ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ ﴾ (٣).

ومن فتن الشهوات كذلك: فتنة قوم لوط كما قال تعالى عنهم: ﴿ أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤).

ومن فتن الشهوات كذلك: حب الوطن والركون إلى الراحة

(١) سيرة ابن هشام: ٣٣٧/١.

(٢) سورة النازعات، الآية ٢٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٣٩.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٢٩.



والدعة والخوف على الأموال لذلك حذرنا الله عز وجل من هذه أن تكون سبباً في تركنا لأمر الله، قال تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ .

وجماع ذلك كله في حب الدنيا وزهرتها كما قال ﷺ: «إن هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» (٢) . والله عز وجل لما أمر المؤمنين بترك الأوطان والاعتماد على الله في طلب الرزق وعدم الخوف من الموت حذرنا من الدنيا وبين أنها كظل زائل مهما طال . قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوَ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) . وما يكون من فتن الشهوات فتنة الإغراء من قبل الكفار فهم يغرون بما عندهم من أموال ومن جاه وغير ذلك كما حدث للرسول ﷺ حينما بدأ بالدعوة فقد ورد أن عتبة بن ربيعة قال للرسول ﷺ: يا بن أخي إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت بمن مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل

(١) سورة العنكبوت، الآيتان ٥٦، ٥٧ .

(٢) مسند أحمد: ١٩/٣ وهو جزء من خطبة الرسول ﷺ ص (٢٨) سنن الترمذي: ٤/٤٨٣

كتاب الفتن باب ما جاء مأخوفاً من النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن يوم القيامة (٢٦) ابن ماجه:

١٣٢٥/٢ كتاب الفتن باب فتنة النساء .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٤ .

منها بعضها قال: فقال له رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد اسمع»، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا (١). إلى آخر ما عرض عليه ولكن الرسول لم تغره تلك العروض واستمر على دعوته. ومن إغراء الكفار كما كانوا يغرون المسلمين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢). وهذا إغراء معنوي بتحمل ما يكون على من ترك هذا الدين.

وهذه شبهة قد تعترض من قصر علمه وإرادته فيصدقها وينخرط معهم في غيهم وضلالهم.

ومن إغرائهم ما حدث للنفر الذين خلفوا حين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقد جاء إلى كعب بن مالك كتاب من ملك غسان قال كعب: فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسيك فقلت لما قرأتها وهذا أيضاً من البلاء فتيمنت بها التنور فسجرت بها (٣) ...

(١) سيرة ابن هشام: ٣١٣/١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ١٢.

(٣) جزء من حديث طويل في صحيح البخاري: ١٣٣/٥ كتاب المغازي باب حديث كعب ابن مالك (٧٩) واللفظ له، صحيح مسلم: ٢١٢٥/٤ كتاب التوبة باب حديث توبة كعب ابن مالك، مسند أحمد: ٤٥٨/٣، ٣٨٩.

الحديث. وفتنة الشهوات إذا تمادى بها الإنسان قد تقوده إلى فتنة الشبهات فيهلك وقد تجتمع الفتتان كما في أشد فتنة حذرنا منها الرسول ﷺ وهي فتنة المسيح الدجال كما قال ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» (١). والمراد أكبر فتنة: أعظم شوكة (٢). فإن أمره قد يشبهه على من في قلبه مرض فيظن أن ما معه من القوة تحوله بأن يكون هو الرب فيكفر بالله ولذلك حذر الرسول ﷺ من شبهاته فقال: «من سمع بالدجال فليأمن منه فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فلا يزال به لما معه من الشبه حتى يتبعه» (٣). كما أن ما بعده من ملاذ الدنيا وما يتبعه منها شهوة يفتن بها الإنسان فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج فإما أدركن أحداً فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم يطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة (٤) غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب

(١) صحيح مسلم: ٢٢٦٧/٤ كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال واللفظ له، مسند أحمد: ٢١/٤، مصنف ابن أبي شيبة: ١٣٣/١٥.

(٢) النووي على مسلم: ٨٧/١٨.

(٣) مسند أحمد: ٤٣١/٤، سنن أبي داود: ٤٩٥/٤، كتاب الملاحم باب خروج الدجال، مستدرك الحاكم: ٥٣١/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٣٠٣/٥ رقم ٦١٧٧.

(٤) أي جليلة تغشى العين تنبت تلقاء المآقي وقد تمتد إلى السواد فتغشاه، لسان العرب: ٥١٩/٤، مادة ظفر معجم مقاييس اللغة: ٤٦٦/٣.

## وغير كاتب»<sup>(١)</sup>.

ومن شدة فتنته أن الأنبياء كانوا يخوفون قومهم منه فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلموا<sup>(٢)</sup> إنه أعور وإن الله تبارك ليس بأعور»<sup>(٣)</sup>. حتى إن الصحابة حينما خوفهم به رسول الله ﷺ ظنوه قد خرج (فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله (الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» قلنا يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط<sup>(٤)</sup>) عينه طافية إني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه

(١) صحيح مسلم: ٢٢٤٩/٤ كتاب الفتن باب ذكر الدجال واللفظ له، ورواه البخاري مختصراً: ١٠٣/٨ كتاب الفتن باب ذكر الدجال، المسند: ٣٨٦/٥، ٤٠٥، سنن أبي داود: ٤٩٤/٤ الملاحم باب خروج الدجال .

(٢) تعلموا بمعنى اعلموا، النووي على مسلم: ٥٦/١٨ .

(٣) صحيح مسلم: ٢٢٤٥/٤ كتاب الفتن باب ذكر ابن الصياد واللفظ له، صحيح البخاري: ١٧٢/٨ كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿وَلْيُضَنِّعَ عَلَى عَيْنِي﴾ سنن أبي داود: ٤٩٤/٤ كتاب الملاحم باب خروج الدجال، مسند أحمد: ١٩٥/١، ١٣٥/٢ .

(٤) قطط: بفتح القاف والطاء أي شديد جمود الشعر مباعد للجمود المحبوبة، النووي على =

منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاش<sup>(١)</sup> يمينا وعاش شمالا، يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا اقدروا له قدره» قلنا يا رسول الله، وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتبت فتمر عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً<sup>(٢)</sup>. وأسبغه ضرعاً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحوا محلين ليس بأيديهم من أموالهم شيء ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتبعه كنوزها كيغاسيب<sup>(٣)</sup> النحل ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض<sup>(٤)</sup> ثم يدعوه فيقبل يتהלّل وجهه يضحك فينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين<sup>(٥)</sup> واضعاً كتفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ

= مسلم: ٦٥/١٨ .

(١) الغيث الفساد أو أشد والإسراع فيه، النووي على مسلم: ٦٥/١٨ .

(٢) ذراً: هي الآجال والأنسمة ذروة .

(٣) هي ذكور النحل وعبر عنها لأنه إذا طار الذكر تبعته جماعته .

(٤) أي يجعل بين القطعتين مقدار رمية الغرض .

(٥) مهرودتين: أي ثوبين مصبوغين بورد ثم زعفران، وقيل شقتان والشقة نصف الملاءة .

رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان (١) كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه بباب لُدّ فيقتله» (٢). الحديث . وقد ورد عن المصطفى (أحاديث كثيرة في التحذير منه نسأل الله أن يعصمنا من فتنه. وما يتعرض له الإنسان من المصائب والآلام والأحزان من فقد مال أو ولد أو جاه أو نحو ذلك فإنها ليست داخلية في النوعين أي الشبهات والشهوات فإنها بالنسبة للمؤمن الذي يصير عليها أجر وغنيمة، أما ما تحدثه من جزع وتسخط فإن هذا مرض بالقلب قد يدخل معه شبهة تصده عن دين الله كتسخط القدر وإنكاره أو أنها تدعوه إلى شهوة مما حرم الله عز وجل كالسرقة واغتصاب حقوق الغير إذا فقد ماله . فنسأل الله أن يعصم المسلمين من مضلات الفتن ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم مطابقة لسنة نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) جمان: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد الماء ينحدر منه وصف بذلك لصفاته . النووى على مسلم: ٦٧/١٨ .

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم: ٢٢٥٠/٤ كتاب الفتن باب ذكر الدجال واللفظ له ، سنن الترمذي: ٥١٠/٤ كتاب الفتن باب ماجاء في فتنة الدجال ، سنن ابن ماجه ١٣٥٦/٢: كتاب الفتن باب فتنة الدجال ، مسند أحمد: ١٨١/٤ ، سنن أبي داود: ٤٩٦/٤ : كتاب الملاحم باب خروج الدجال .